Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شيئا واحدا ، فالخيال كمن يلقى نظرة شاملة على غرفة ليجد الجوهرة الكريمة ، أو مثل كلب يتجول فى الغابة يتشمم آثار طريدته ، فهكذا الشاعر فى خوضه سباقا مع الحروف ليبدأ قصيدة .

ويمكن القول بأن للخيال مشاركة فى اكتشاف الفكرة ، وفى قولبة الفكرة ، بتغيير الأشكال والعلاقات والاستنتاجات ، ثم فى زخرفة الفكرة وكسوتها بالصور المناسبة .

إن آراء هوبز تمثل آراء الفلاسفة حتى القرن الثامن عشر ، ولا يختلف جون لوك (١٧٠٤ م) كثيرا عن ذلك ، فهو تجريبى يقول بآلية الإدراك مثله ، وفى كتابه Essay concerning Human Understanding (١٦٩٠ م) شبه العقل الإنسانى بصفحة بيضاء لم تسطر عليها كلمة ، والعالم الخارجى هو الذى يترك عليها بصماته ، أما المعرفة فتأتى عن طريق ربط العقل بين الأفكار التى تثيره ، وقد أشار إلى قوتين فى العقل ، هما معا مصدر معارفه : الأولى هى التى تدرك الترابط والتشابه بين الأفكار ، والأخرى تدرك ما بينها من تنافر أوخلاف . أما وصف لوك للبداهة Wit فإنه يوافق على حد كبير ما عناه هوبز بالخيال .

وقد ابتكر لوك مصطلحا جديدا هو تداعى الأفكار association of ideas ولكن ظاهرة البحث فى موضوع : كيف تتمكن فكرة معينة من اجتذاب أفكار أخرى من الوعى ، قد احتاجت إلى جهد طويل متواصل ، لعله يبدأ بأرسطو ، ولكن هوبز هو صاحب الاهتمام الحقيقى بالخيال ، وقد أدرك أن قوة الخيال هى التى تجعل التداعى – الربط الذهنى – بين الصور المتشابهة فى ازدياد ، وهذا يحدث بحكم العادة العقلية كما تلعب التجربة دورا مهما .

ومن المهم أيضا أن نعرف – كما يرى هوبز – أن استدعاء الذاكرة لحادث مثلا – يقرنه بالسبب الذى أوجده ، أو النتيجة التى أسفر عنها ، وهنا تتدخل ملكة التميز لتضبط الخيال ، لأن إدراك حادثة ما أمر يعود إلى المنطق ، وليس من البلاغة فى شىء على أن لوك حذر من التداعيات الخادعة واصطناع الصلات غير المعقولة بين الأفكار ، وإن يكن أوضح وبسط فكرة التداعى كنظرية سيكولوجية . وقد مهد ذلك لمن جاء بعده من الشعراء والمهتمين بالشعر ألا ينظروا إلى الشعر فى حدود أنه أفكار واضحة دقيقة وحسب ، وإنما لغة مجازية ذات تداعيات عاطفية مثيرة[٣١] .

وأيضا فإن لوك وضع تفرقة بين الصفات الأولية للتجربة الحسية ، وهى الصفات القائمة

(٣١) Ibid, P. 15-16.